مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد07 / العـــدد: 03(2023)، ص 307-318

انتفاضة قسنطينة ضد اليهود 1934 بين رد الفعل العفوي والتأثير الخارجي

Constantine's intifadha against Jews in 1934 between spontaneous reaction and external impact

عبد القادر كركار

جامعة الوادي (الجزائر)

kerkader@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2022/04/30 تاريخ القبول: 2023/04/06

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الى البحث في العلاقة بين انتفاضة سكان قسنطينة ضد اليهود وما كان يحدث في فلسطين من مؤامرة بريطانية صهيونية، في فترة شهدت وصول الحركة النازية الى السلطة في المانيا في 1933 وزيادة تدفق هجرة اليهود على ارض فلسطين بدعم من بريطانيا، وهو ما تسبب في اندلاع ثورة 1936 بفلسطين، وهذا ما جعل البعض يلمح الى علاقة انتفاضة قسنطينة بالدعاية النازية وحتى الى دور حزب نجم شمال افريقيا وجمعية العلماء من خلال مواقفهم من قضية فلسطين

فالثورات والانتفاضات كانت دائما تلقى الصدى في أحد جوانب البلاد العربية إذا ما اندلعت في جانب اخر فكانت لانتفاضة قسنطينة صدى عربي مثلما كان للمؤامرة على فلسطين صدى على الحركة الوطنية في الجزائر.

كلمات مفتاحية: قسنطينة.، اليهود.، ليون خليفة.، ابن باديس.،

Abstract:

The study aims to examine the relationship between the uprising of Constantine residents against Jews and the British-Zionist conspiracy that was taking place in Palestine, at a time when the Nazi movement came to power in Germany in 1933 and increased the flow of Jewish immigration to Palestine with the support of Britain, which caused the outbreak of the 1936 revolution, which led some to allude to the relationship of the Constantine uprising to Nazi propaganda and even to the role of the North African Star Party and the Association of olamas through their positions From the question of Palestine.

Revolutions and uprisings have always resonated in one aspect of the Arab countries if they broke out on the other side, and the Constantine uprising had an Arab echo, and the plot against Palestine resonated with the national movement in Algeria

Keywords:

Constantine. Jews. Eli Khalifa. Ben Badis

1.مقدمة

شهد التاريخ العالمي قضايا دولية متنوعة في السياسة الدلية بعضها اصبح معضلة لما مثلته من تشابك بين الأطراف والمصالح حتى وان كانت عادلة ، ومن بينها القضية الفلسطينية التي تعد فريدة من نوعها وقد حمل الجزائريون القضية الفلسطينية في وجدانهم الجماعي اسوة بالقضية الوطنية، في وقت كانت البلاد العربية تمر بمرحلة ضعف وخنوع للاستعمار الأجنبيفي مشرقها أو مغربها ، وبرغم ذلك فقد كانت الثورات والانتفاضات دائما تلقى الصدى في احدى جوانب البلاد العربية إذا ما اندلعت في جانب اخر من خلال تضامن شعبي موجه ومؤطر من نخبة ثقافية وسياسية مطلعة على حيثيات القضية، ومن ابرز النماذج على ذلك نجد انتفاضة سكان مدينة قسنطينة الجزائرية ضد اليهود الذين تبنوا في وقت سابق الجنسية والثقافة الفرنسية وانسلخوا عن اصلهم الافريقي وانحازوا الى الجانب الفرنسي المستعمر للبلاد التي لطالما احتضنتهم وعاشو في كنفها بسلام وتعايش مع بقية سكانها، فكانت انتفاضة الجزائريين في مدينة قسنطينة دفاعا عن حرمة دينهم ومكان عبادتهم (المسجد الأخضر) تشبه ثورة البراق التي اندلعت في القدس 1929 دفاعا عن مقدسات الامة الإسلامية في زمن تكالبت عليها قوى مسيحية تدعم الجماعات اليهودية.

كما ان وصول النازية الى السلطة في المانيا في 1933 وزيادة تدفق هجرة اليهود على فلسطين بدعم وتشجيع من بريطانيا الإمبراطورية الاستعمارية أدى الى اندلا ع ثورة 1936 التي قادها عز الدين القسام والتي تزامنت مع اول انتفاضة شعبية عربية ضد اليهود لكن هذه المرة كانت في مدينة قسنطينة بالجزائر، وهو ما جعل البعض يلمح الى دور الدعاية النازية في التحريض على اعمال العنف ضد اليهود، وحتى الى دور حزب نجم شمال افريقيا وجمعية العلماء من خلال مواقفهم من القضية الفلسطينية ما أدى الى شحن المواقف وتبادل الاتهامات.

ان الحديث عن العلاقات بين يهود الجزائر وبقية السكان المسلمين في الجزائر وتداعيات ما كان يحدث في ارض فلسطين من مؤامرة بريطانية – صهيونية تعد من القضايا ذات البعد الوجداني لدى الجزائريين لما تحتله ارض فلسطين من مكانة في نفوس الجزائريين سواء من الناحية الدينية أو حتى التاريخية حيث ان سكان المغرب الأوسط تركوا اثرهم في تحرير القدس زمن القائد المسلم صلاح الدين الايوبي والقطب الصوفي ابى مدين شعيب وتتوثق الروابط بعد سقوط الجزائر في قبضة الاستعمار الفرنسي حيث أصبحت أرض فلسطين محط رحال المهاجرين والمنفيين من الجزائريين، وبالمقابل فقد ترك يهود الجزائر من الندوب في الذاكرة الجماعية للشعب الجزائري المسلم ما يكفي لشحن المواقف ضدهم وهم الذين رحبوا بالاستعمار الفرنسي وتجاوبوا مع مساعي فرنسا لإدماجهم في زمرة الكولون فكان مرسوم كريميو 1870 تتويجا لمسار الدمج دون ان ننسى الدور السيئ السمعة الذي كان لأثريائهم قبل الاحتلال والذي مثلت قضية الديون بين فرنسا والدولة الجزائرية احد ابرز مظاهره .

وعليه يمكن التساؤل عن مدى الارتباط بين القضيتين الفلسطينية والجزائرية وعلاقة كل منهما بالأخر وهل كانت انتفاضة سكان مدينة قسنطينة المسلمين بعيدة عن توجيه النخبة السياسية الثقافية المطلعة على ما كان يحاك للامة في مشرقها، وقد انتهجت في

دراسة الموضوع المنهج التاريخي معتمدا على التحليل المنهجي للأحداث من خلال الروايات التاريخية ومواقف بعض الصحف المحلية التي تطرقت للموضوع .

2. العلاقة بين اليهود والمسلمين في الجزائر

شهدت العلاقات بين اليهود والمسلمين الجزائريين طول التاريخ استقرار وتعايش حيث كانت الجزائر على غرار بقية بلاد المغرب ملجأ اليهود الفارين من الاضطهاد الاسباني المسلط عليهم في الاندلس خاصة بعد سقوط غرناطة، فانظم هؤلاء (الميغوراشيم) الى اليهود القدماء في البلاد (التوشابيم) وعاشوا في استقرار ما عدا بعض الاضطرابات التي كانت تقع من حين لأخر، وقد كان أبرزها ثورة الشيخ المغيلي[1] عليهم في إقليم توات بالصحراء الجزائرية، والتي يصورها اليهود اليوم في مصاف الهولوكوست المزعوم، وقد حدثت بعد أن أصبحوا ذوي قوة ونفوذ لم يعرفه أهل ذمة في أي أرض إسلامية أخرى من قبل وهذا بمنطقة تمنطيط حتى أنهم كانوا يعتبرونها مملكة يهودية في الصحراء الافريقية.

كما حدثت ثورات معزولة ضد اليهود خلال العهد العثماني كانت تحت تأثير ظروف اقتصادية –سياسية موجهة بالأساس ضد السلطة الحاكمة المتحالفة مع الأثرياء من أعيان اليهود الذين بالغوا في استنزاف خيرات البلاد بفضل نظام الاحتكارات التجارية الممنوح لهم من طرف الحكام العثمانيين في الجزائر، وقد كانت السلطة تعرف كيف تمتص الغضب الشعبي فتحول كرة النار في اتجاه حلفائها اليهود الذين كانوا يمثلون رمز الفساد من خلال العلاقة بين رجال السلطة العثمانيين ورجال المال اليهود.

وفي خلال فترة الاحتلال بدأت الاوضاع تتغير من حيث الصفة القانونية دون المعنوية لليهود فرغم ان هؤلاء كانوا في زمن ما مضطهدين من دول مسيحية كإيطاليا إسبانيا البرتغال وحتى فرنسا و كانوا يجدون مأوى آمن لدى الشعوب المسلمة فقط، و إن كان المسلمون حسب رجيس "لا يحبونهم أكثر من اليوم لكن كانوا أكثر تسامحا وعدلا تجاههم" (Regis.2004,p111)، غير ان انحيازهم للفرنسين منذ 1830 قد خلق فجوة كبيرة في علاقتهم مع المسلمين في البلاد، رغم أن هؤلاء لم يبدوا أي عداوة تجاههم خلال المقاومة فعداوتهم بالأساس كانت موجهة ضد المحتل، بل وكانوا دائما واسطة بينهم وبين الفرنسيين لكن اليهود وبعد ما نالوا التجنيس أصبحوا

---

[1] نزل اليهود بتمنطيط، تيطاف، تخفيف، تاسفاوت... زكت أموالهم بتمنطيط وسيطروا على التجارة والاسواق ففي تمنطيط كان هناك أكثر من 360 سائغ يهودي و بعد الازدهار والاحتكار الذي مارسه اليهود كانت حادثة اليهودي المسلماني في مسجد قصر عمرو يوسف بتمنطيط والدي كان يرش المصلين بالبول في صلاة الفجر وكشفه وقتله وأمر الشيخ المغيلي بإجلاء اليهود ودمر كنائسهم الدين احتموا بالشيوخ الدين كانوا يهادونهم وهؤلاء لجئوا إلى قاضي الجماعة الشيخ سيدي عبد الله بن أبي بكر العصنوني الدي عارض المغيلي وحمى اليهود على أنهم أهل دمة فقال المغيلي فيهم أشعار هجاء ولمن حماهم واختلف العلماء في الافتاء ونادى الشيخ المغيلي : من قتل يهوديا فله على سبع مثاقيل فانزعج اليهود لذلك وتفرقوا/ حتى قيل أنه أجلى منهم 363 يهوديا البعض قصد طرابلس وجلهم قصدوا أرض سجلماسة وكانت بأيديهم الضوابط والقوانين التي هي قواعد البلاد ففرو بها ... ثم أن الشيخ المغيلي لما أجلى اليهود من بلدة تمنطيط تعطل الكثير من الصنائع لأنهم إد داك أهل تجارة وصياغة وصنائع كثيرة... لكن خروج اليهود من توات أدى إلى ضعف اقتصاديات المنطقة وحيث أشيع عن توات بأنها بلاد غير أمنة وكنتيجة لداك رغب عنها التجار فأصبح الناس في ضيق وضنك معيشة أنظر عبد الحميد بكري النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر دار الغرب للنشر والتوزيع وهران طبعة ثانية 2007 ص ص 22،39

يتعالون على السكان المسلمين كالفرنسيين وهم الذين كانوا بالأمس يعانون من التعالي الفرنسي عليهم فأصبحوا يتساوون معهم في حقوق المواطنة الفرنسية .

فالأهالي المسلمون وأن كان لهم شعور بالاحتقار والتفوق تجاه مواطنيهم من الملة اليهودية في وقت سابق –حسب البعض – لكن يشعرون بأكثر قرب منهم (العادات واللغة المتكلمة) من الساكنة الأوربية وهذا إلى اللحظة التي أصبحت عملية فرنسة اليهود الاهالي الجزائريين غير قابلة للمراجعة(Kateb, p192)، بعد ان خطت خطوات واسعة ضمن مسار طويل من الفرنسة والدمج والذي لقى تجاوب من طرف نخبة اليهود الذين كانوا يمثلون بني ملتهم لدى السلطات الفرنسية، ويحثونها على اتخاذ المزيد من القرارات والإجراءات في هذا السبيل أسوة بما فعلته الدولة الفرنسية في ارضها بعد ثورة 1789 لفائدة يهودها، ورغم ذلك فنظرة السكان المسلمين لليهود كذميين لم تتغير حتى بحلول عنصر مسيحي فرنسي دخيل في العلاقة بينهما.

غير ان الامر كان مختلف من طرف الكولون الاروبيين الذين تدفقوا على الجزائر واستوطنوها واصبحوا يمثلون خليط هجينا من الاجناس الاروبية ويشعرون انهم هم وحدهم أصحاب البلاد ولا يحق لأحد مشاركتهم ، فمع مر الوقت بدأوا يشعرون بالتضايق من الحضوة التي نالها اليهود والمكانة التي بلغوها هم الذين وجدوا فرص العيش التي كانوا يبحثون عنها وليسوا مستعدين أن يتعرضوا لمنافسة من طرف الاهالي مهما كانوا، فتحول الخوف من الأهلي عموما إلى الخوف من اليهودي –هذا الأهلي الذي قفز من مكانه الطبيعي – بفضل التجنيس، وفي ظل تزايد عدد اليهود مع تباطء وتيرة الهجرة وتزايد مواليد الفرنسيين الأصليين فقد اصبح اليهود يشكلون اغلبية الفرنسيين في بعض المناطق وهو ما مثل مصدر قلق للأوربيين الغير مجنسين؛ حيث ان بعض المجالس البلدية قد تضم اغلبية يهودية وهذا ما يوحي ان المستفيد الأول من استعمار الجزائر بالنسبة لهؤلاء هم اليهود الذين ارتقوا في السلم الاجتماعي الى أعلاه، وأصبحوا بفضل التجنيس بالتساوي مع الفرنسيين في حقوق المواطنة وأرقى من الأوربيين الغير مجنسين اما المسلمين فهم على الهامش.

امام اختلال التوازن الغير متوقع من طرف الأوربيين لصالح اليهود انتقل المستوطنون المتطرفون من التنديد بممارسات اليهود إلى إنشاء الرابطات المعادية لهم، وقد لعبت هذه الرابطات دوراً في تعبئة المستوطنين لحملات مقاطعة المتاجر والمحلات اليهودية، ومثلت إطاراً جمعوياً لتأطير نزعة معادية لليهود وتوجيهها بالموازاة مع الحملات الصحفية، وقد تطور هذا الكره المتبادل إلى مواجهات بين الطرفين في الشارع وهو ما أصبح ينذر بالخطر وعُد منزلقاً خطيراً في العلاقة بين اليهود والمستوطنين؛ عبرت بصدق عن مدى حجم الكبت ونوع المشاعر التي كان يشعر بها المستوطنين الاروبيين عامة تجاه غرمائهم؛ فهم يتصرفون كالمتصرف في بيته و لا يريد أن يشاركه أحد فيما استولى هو عليه واغتصبه، فمن يسرق يخاف أن يسرق منه ما سرقه وهو شعور المستوطنين؛ عدم أمان دائم وشك مستمر في الغير سواء أكان مسلماً أو يهودياً فهم لم ينسوا أنه كان إلى 1870م أهلياً في نظر القانون.

وقد وجد المستوطنون المعادون لليهود في أحداث الشغب فرصة للتنفيس عن الغضب وهو ما عرف بأزمة معاداة اليهود في الجزائر سنة 1898 حيث برزت شخصيات تتزعم التحريض والاستفزاز على غرار الشاب المتجنس Maximiliano Regis ذي الأصول الإيطالية، الذي قاد المظاهرات ضد اليهود في مدينة الجزائر ، وتطورت الاحداث حيث نهبت المخازن اليهودية وطال زمن

الاضطرابات، و تحول الامر الى برنامج انتخابي كان مطية لنجاح ثلاثة نواب برلمانيين معادين لليهود في الانتخابات، سبق الفرنسيون في الجزائر ما قام به الالمان النازيون عند تسلمهم الحكم سنة 1933 في المانيا بعقود.

وان كانت السلطات الفرنسية قد عرفت كيف تخمد فتيل هذه الازمة بمنح نوع من الاستقلال المالي للجزائر سنة1899 وبالتالي وضع ميزانية البلاد في ايدي الكولون وخففت قبضة باريس مقابل إطلاق يدهم فب بعض شؤون التسيير وافشلت مخططاتهم الانفصالية غير ان خطر المنافسة اليهودية وضرورة تحجيم دور هؤلاء والانتقام منهم ولو بضربهم عن طريق المسلمين بقيت مكبوتة وهم يتحينون الفرصة لاستكمال ما شرعوا فيه عند نهاية القرن، او على الأقل تسهيل ضرب اليهود.

3. انتفاضة سكان قسنطينة 1934

من أبرز الاحداث التي وقعت بين المسلمين واليهود في الجزائر خلال تاريخها المعاصر،كانت ما عرف في التاريخ بأحداث قسنطينة والتي كانت في الحقيقة انتفاضة شعبية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وقعت في جو كان مشحون ينتظر شرارة لاندلا ع الحريق وهو ما حدث في سنة 1934، بعد ان زادت درجة الاحتقان نتيجة عوامل داخلية عاشتها الجزائر زادت في الهوة بين الطرفين مع عوامل خارجية كان لها تأثير في اندلا ع الاحداث.

لقد كانت مدينة قسنطينة تعرف تواجد كثيف للعنصر اليهودي منذ حقب قديمة زادت أهميتها في العهد العثماني؛ حيث ونظرا لدورهم الاقتصادي فقد كانوا محل اهتمام من الحكام أين خصص صالح باي لهم المنطقة المحصورة بين القنطرة وحافة الهاوية التي كانت مهجورة ليبنوا فيها منازلهم ودكاكينهم ،(بن العنتري، 1991، ص 65) ومنذ ذلك التاريخ تنسب إلى صالح باي تخصيص حافة الشارع التي قطعها لليهود وقد كانت هذه المنطقة تسهل على إدارة البايلك مراقبتهم والتحكم في نشاطاتهم وبذلك عاد النشاط إلى هذا الجزء من المدينة الذي كان شبه مهجور وأصبحت هذه الجهة التي تعرف برحبة الصوف مركزا تجاري مهماً بعد أن شرع اليهود في فتح دكاكينهم على الشارع الرئيسي الذي يصل باب الوادي بباب القنطرة (العروق،1984،ص8).

وقد تعايش اليهود سواء المحليين او المهاجرين من الاندلس والمسلمين الجزائريين بسلام في الجزائر عبر السنين غير أنه ومع حلول الاستعمار وما أحدثه من تغيير في السلم الاجتماعي لمختلف مكونات الساكنة المحلية أصبحت المنطقة على صفيح ساخن بداية بسلسلة مظاهرات 1933، 1934 فيوم 24 فيفري عند الصبح خرجت من المسجد مظاهرات ضد قرار الحاكم العام منع العلماء من الوعظ في المساجد(kaddache,p724) ثم كانت الاحداث الكبرى في 1934 حيث عرفت المدينة سنة مضطربة وترت العلاقة بين المسلمين واليهود رغم تدخل كل من ابن باديس وبن جلول فقد اندلعت عراكات في5 أوت ومات وجرح العديد، بينما تجاوزت الاحداث المنتخبين وأدانوا المتظاهرين،(kaddache,p725) في محاولة لتهدئة الوضع وتبرئة انفسهم من أي تهمة قد تطالهم من طرف منافس منافسيهم او السلطات الفرنسية.

إن الروايات كثيرة في أسباب اندلاع الانتفاضة غير ان السبب المباشر الذي وقع عليه الاجماع هو حادثة الجندي اليهودي المدعو إيلي خليفة الذي جرح شعور المسلمين عندما اهان المصلين داخل الجامع الاخضر يوم الجمعة الموافقة لـ 3 أغسطس 1934 وتلا ذلك اضطراب ومشادات لكن بدون ضحايا، وتدخل الجيش والشرطة لإعادة الامن والنظام في المدينة وانتهى ذلك اليوم بدون أحداث أخرى، وفي اليوم التالي توجه أعيان المسلمين واليهود إلى مقر الوالي الفرنسي وعبروا له عن أسفهم لما حدث وتواصوا بضرورة حفظ النظام وتصفية الجو.

وقد كان مقرر أن يعقد اجتماع يوم الأحد الخامس أغسطس يخطب فيه الدكتور بن جلول وانعقد الاجتماع فعلا وانتظر الناس ابن جلول ولكنه لم يحضر وبدأت الاشاعات ومنها أن اليهود قد قتلوه، وفي نفس الوقت قتل أحد الجزائريين في قلب المدينة برصاصة أطلقها عليه يهودي من منزله في حي اليهود وهذه التطورات أدت إلى قيام المسلمين بمظاهرات شارك فيها أكثر من عشرة ألاف واصطدموا فيها مع يهود المدينة فكانت النتيجة قتل 23 يهوديا وأربعة جزائريين وأسر عدد كبير بالإضافة إلى جرح العشرات من الطرفين وإتلاف عدة ملايين قدرها بعضهم بخمسين مليون فرنك (سعد الله، أبو القاسم. 1986، ص 47).

ورغم تدخل القوات العسكرية الفرنسية فإن الحوادث قد انتشرت من قسنطينة إلى غيرها من المدن المجاورة مثل عين البيضاء وتبسة والخامة وغيرها كما أرسلت الصحافة العالمية مراسليها لتغطية ما أسمته ((الاحداث))، ولم تمضي سوى بضعة أشهر حتى حدثت اضطرابات خطيرة في سطيف ومستغانم والجزائر ووهران وسيدي بلعباس فحوادث سطيف كانت خطيرة تمرد الجنود وربطها بعضهم بحوادث قسنطينة من كونها كانت أيضا معادية لليهود (سعد الله، أبو القاسم. 1986، ص 51).

وقد كان تعاطي السلطات مع الاحداث في بدايتها يتميز بنوع من الفتور كأن الامر لا يعنيها حيث وقفت موقف المتفرج غير انها عندما لاحظت ان الأمور قد تتطور وتخرج عن السيطرة ولم تتوان الصحف في الاشادة بطريقة أو أخرى بدور الإدارة الاستعمارية في وضع حدٍ لاستمرار تلك الحوادث، فتذكر جريدة الصباح "تعبت قوات البوليس والجندرمة في تفريق الجموع الملتفة، وجيء بفرقة من العساكر فتحيرت أيضا ولم تجد الحكومة قوة تحفظ بها الأمن لأن جميع الجنود وجهوا إلى المناورات العسكرية القائمة الآن بالتلاغمة، عندئذ اضطرت الحكومة إلى استخدام سائر جنود الاحتياط الموجودة بالعمالة من سطيف وباتنة وعنابة وسكيكدة واستخدمت آلات إطفاء النار من العاصمة...أصبحت الحكومة متمكنة من قبض زمام الأمن فلا يخول المرور إلا لمن بيده رخصة وأصبح حمل السلاح ممنوعا ...كما منع الورود من الخارج على المدينة ومنع الخروج منها وأغلقت الدكاكين وحجر البيع والشراء حتى اصدار أوامر جديدة (تاونزة، محفوظ 2017، ص 114)

وعلى إثر اشتعال الوضع تدخل ممثلي الرأي العام الجزائري في قسنطينة لوقف توجيه العداء وعبروا عن أسفهم لما حدث، ولا يوجد في خطبهم ولا في كتاباتهم الصحفية ما يدل على أنهم كانوا يدعون إلى حركة انتقامية أو إلى إثارة مواطنيهم ضد اليهود الفرنسيين (سعد الله، أبو القاسم. 1986، ص 51)، فقضية الحركة الوطنية هي مع المغتصب الفرنسي وليس اليهودي الذي عاش في الجزائر منذ قرون والذي رغم كل شيء لا زال يعتبر عنصر أهلي من هذا أو ذاك رغم التجنس الجماعي في 1870، وهو ما تعبر عنه جريدة الامة لأبو

اليقظان في قولها " لا يفوتنا هنا أن نبدي أسفنا العميق على هذه المصيبة العظمى والفتنة العمياء التي لم تصب الذين ظلموا من المتجاورين خاصة بل تجاوزت محنتها إلى كثير من الأبرياء فكان عليهم الغرم ولغيرهم الغنم" ملمحة في ذلك الى العدو المشترك حسب الذي يجب ان يكون الفرنسي الدخيل وليس احد الطرفين في الاحداث.

في حين نوهت جريدة النجاح بجهود النخبة السياسية في المدينة وأشارت إلى جهود الدكتور بن جلول ودوره في إطفاء نار الفتنة خلال ليلة الجمعة، وهذا بعدما استطاع إقناع المسلمين بمغادرة حي اليهودي الياهو، وتابعت النجاح مستجدات الوضع خلال يوم السبت 04 أوت، وما قام به كلا من الشيخ عبد الحميد بن باديس، والدكتور بن جلول في سبيل تهدئة النفوس الثائرة، مشيرة لذلك بقولها:" وفي صبيحة السبت قام الحكام بواجبهم وحرضوا أعيان كلا الطرفين على ملازمة الهدوء والسكينة. وبالفعل شرع أعيان المسلمين ونوابهم يهدؤون العامة ويلزمونهم بالسكينة، واستدعى الأستاذ بن باديس والحكيم ابن جلول مساء السبت العامة للجامع الأعظم وخطبا فيهم محرضين على ملازمة ديارهم واجتناب كل ما يفضي إلى الحوادث مع اليهود"

وقد كان نجم شمال افريقيا يتابع الاحداث عن بعد بحكم عدم تغلغله في البلاد بما يكفي للتأثير في الاحداث فعقد اجتماع يوم 19 أغسطس في باريس حضره أكثر من 3500 شخص وخطب فيه زعماء النجم، أين صدرت لائحة استنكرت ((تدخل الامبريالية الفرنسية التي دبرت مسرحية قسنطينة الدموية)) وأعلنت اللائحة تضامنها مع ((ضحايا الاضطهاد)) وأشادت بموقف الجزائريين من هذا التدخل في مسجد إسلامي (إشارة إلى بول اليهودي في الجامع) ((وإهانة المؤمنين ونبينا عليه الصلاة والسلام))، كما أشادت بالأبرياء الجزائريين الذين قدروا بالمئات والذين اعتقلتهم السلطة الفرنسية وطالبت بإطلاق سراحهم حالا، وإزالة حالة الطوارئ من المدينة، أما جريدة (الامة) فقد استنكرت التمييز الذي خضع له الاهالي بهذه المناسبة فاليهودي الذي كان السبب فيما حدث حكم عليه بيومين سجنا وستة عشر فرنك كغرامة، أما المسلمون الابرياء فقد قالت أنهم سجنوا بدون محاكمة من سنتين إلى ست سنوات، واعتبرت الجريدة ذلك ظلما وحيفا وطالبت بتحرير ((إخوتنا)). (سعد الله، 1986، ص 51)

ونقتطف جزء من الرسالة التي أرسلها زعماء الحركة الوطنية بقسنطينة والتي تعبر عن موقفهم من الاحداث وفي نفس الوقت عن تضامنهم لما كان يحدث في فلسطين ((...نحن نعتقد أن ميدان القتال بين العرب واليهود هو فلسطين أما الجزائر وغيرها من بقية أقطار العروبة فهي ميادين شعور وعطف وأخوة وتضامن يشعر فيها العربي لمحنة أخيه في فلسطين، فيعطف عليه ويحمله العطف على مواساته بما استطاع مما يخفف محنته أو يعينه على ظالمه ويعتقد أن فلسطين وطن عربي كل الحق فيه للعرب فيرد دعوى المدعين ودعاية الداعين بالحجة والمنطق ويسمع كلمة الباطل في قومه فينقضها بكلمة الحق، ويرى مواطنه اليهودي يزود إخوانه في فلسطين أو يجهز مقاتلتهم فيفعل مثلما فعل، وكما أننا لا نلوم يهود العالم على إظهار عواطفهم نحو إخوانهم في فلسطين لا نقبل اللوم من شخص أو من حكومة على إظهار عواطفنا تجاه ونحو إخواننا عرب فلسطين ولا نقبل التحجير علينا فيما نستطيع إعانتهم به ولا نرضى أن يكون حراما علينا ما هو حلال لليهود ومن أنصفنا أنصفناه وزدنا، ندعوكم ناصحين مخلصين إلى السكون والهدوء وضبط الاعصاب، فقد كانت

حادثة 5 أوت 1934 وليدة تحريض أجنبي لم يرد به خيرا وكانت واقعة وجدة بالأمس نتيجة استفزاز من أجنبي لم يرد بكم خيرا فقابلو التحريض بالرفض، قابلو الاستفزاز بالصبر وإن العقل نعم السلاح وإن العاقبة للصابرين.

محمد البشير الابراهيمي، فرحات عباس، إبراهيم بيوض، الطيب العقبي. (الابراهيمي، أحمد. 1997، ص ،206)

وقد اثارت احداث الانتفاضة مشاعر المسلمين في ربوع البلاد العربية حيث وقع علماء نابلس وأعيانها برقية أرسلوها إلى المفوض السامي الفرنسي في بيروت لإبلاغه "على حكومته بالاحتجاج على حوادث قسنطينة الأخيرة وموقف الحكومة الفرنسية إزاءها وفي فلسطين " وبعد تأدية صلاة الجمعة في مدينة الخليل خطب في المصلين فضيلة الشيخ محمد صبري عابدين مدرس الحرم الإبراهيمي الشريف في موضوع حكمة التشريع في صلاة الغائب، موضحا أن المقصود منها مشاركة المسلمين اخوانهم في الدين في مصائبهم وآلامهم لوحدة الشعور وبيانا للإخاء الإسلامي العام ثم ذكر أسباب حوادث قسنطينة التي قتل بسببها عدد من المسلمين العرب وطلب من الجماهير تلاوة سورة الفاتحة على أرواحهم الطاهرة وبعد الصلاة خرج المصلون وهم يسألون الله أن يمن على العرب والمسلمين بالخلاص مما هم فيه من الإرهاق، حسب جريدة النجاح.

وكان نجم شمال افريقيا محرك أساسي لتجمعات لمنظمات وجمعيات في فرنسا بمناسبة أحداث قسنطينة، من ذلك الاجتماع الذي دعت إليه جمعية العمال الجزائرية، بليون من أجل التضامن الوطني بتأييد من رئيس نجم شمال إفريقيا المجيد، في يوم 26 أوت وكان هدف الاجتماع واضحا فهو للتضامن مع ((إخوانكم بقسنطينة))، وقد لام المجتمعون الاستعمار الفرنسي (ومخابراته) على تشجيع الجنود اليهود على إهانة المسلمين أثناء أدائهم الصلاة بالبول في المسجد، وفي نفس اليوم أضرب التجار الجزائريون في ليون عن العمل فأغلقوا متاجرهم ومقاهيهم احتجاجا أيضا (سعد الله، مرجع سابق، ص 130) ، ثم انتقل الفعل إلى مبادرة أخرى فأرسل النجم كذلك لجنة دفاع وتحقيق إلى قسنطينة، من بين أعضائها المحامي لونغي وطالب بشير وجرى أيضا اجتماع في باريس حضره ممثلون عرب ويهود انتهى بإرسال لجنة تحقيق ومساعدة (سعد الله، مرجع سابق، ص 129).

وقد حرص النجم على إشراك اليهود في تشكيل هذه اللجنة لأنهم مهما يكن كانوا لا يزالون يعتبرون في أعين الحركة الوطنية جزائريين برغم تجنيسهم واندماجهم الظاهري في المجتمع الفرنسي وهذا بالنظر إلى الرفض الذي كان يلاقيه اليهود من طرف المستوطنين فرنسيين، مجنسين أو أوربيين فكان المسلمين لا يزالون يشعرون أن مصيرهم مع اليهود واحد رغم كل شيء وهم الذين تعايشوا مع بعض منذ قرون خلت.

كما كان صدى اخر في المشرق العربي، ففي شرق الأردن حسب جريدة الامة حيث تذكر " أقيمت في أرجاء إمارة شرق الأردن صلاة الغائب على أرواح الشهداء العرب الذين سقطوا في حوادث قسنطينة الأخيرة، وأن فريقا من السكان رفع الاحتجاجات إلى جمعية الأمم وإلى الحكومة الفرنسية " ليمتد صدى الاحداث الى ارض العراق فتذكر "وردت علينا من العراق النشرة الآتية :نقترح على خطباء الجوامع في العراق أن يقيموا صلاة الغائب على شهداء قسنطينة الذين ذهبوا ضحية الواجب الديني في المعركة التي وقعت بينهم

وبين يهود قسنطينة تجرؤا على تلويث مساجد المسلمين انتقاما من المسلمين الذين انتصروا لفلسطين ودافعوا عن كرامتهم في تلك البقعة النائية"، فرغم محاولة السلطات الفرنسية تحجيم المسألة وحصرها في (أحداث) جهوية الا ان صداها اغذ بعدا عربيا امتدادا لما كان يحدث في فلسطين طغيان القوة اليهودية الصهيونية المدعومة من بريطانيا المستعمرة.

4. المواقف والتفسيرات

اختلفت المواقف والتفسيرات للأحداث حسب موقع كل محلل بين الصحافة والأحزاب والسلطات مع اجماعها على ادانة ما وقع، فنجد تغطية جريدة النجاح خلال الأسبوع الأول من شهر أوت 1934 و إلى غاية نهاية شهر ديسمبر من نفس السنة، وذلك في العديد من المقالات والأخبار المستفيضة، عادة ما كانت تأتي كعناوين بالبند العريض ضمن افتتاحياتها منها، عنوان (تفاصيل عن حوادث يوم الأحد الدامية) الذي تصدر صفحة افتتاحية 1597 الصادر بتاريخ 09 أوت ، استهلته في البداية بالحديث عن حوادث ليلة الجمعة 03 أوت، محملة اليهودي الياهو خليفة مسؤولية ذلك ،لكونه أذى المسلمين في معتقدهم حين تأدية شعائر تدينهم بالجامع الأخضر وألقت مسؤولية هذه الأحداث كذلك على مجموعة أخرى من اليهود المسلحين الذين زادوا الطين بلة بإطلاقهم الرصاص على المسلمين، الذين تقدموا بشكوى إلى شرطة رحبة الصوف (تاونزة، مرجع سابق ص100)، حيث ان اليهود باعتبارهم فرنسيين كان يسمح لهم بحمل السلاح بدعوى حماية انفسهم، على غرار ما كان يحدث في فلسطين وما زال وهو ما يشعرهم بالتفوق على المسلمين في التعامل معهم .

كما رأى العديد في هذه الاحداث التراجيدية صدى لمشكل عام، مشكل جموع غارقة في البؤس ولا ترى من حل الا رشقات نارية، أما الشيوعيون فقد ركزوا على القدرات الثورية (الموحى بها) وفي هذا فنجم شمال إفريقيا قر تضامنه مع "المحاربين الأمجاد الذين أجابوا على الخطاب المتطرف للمسجد واستفزازات الامبريالية" (kaddache op,cit p725) حسب الخطاب السياسي الذي كان يتبناه النجم وعليه فالشيوعيون ووفاء لأيديولوجيتهم يرجعون أي انتفاضة شعبية لصراع الطبقات متهمين النجم بالنزعة الثورية والتحريض على اعمال العنف.

في حين حمل بعض الكتاب المسؤولية عن ما حدث للجزائريين المسلمين واتهمهم بالوحشية ويعود ذلك في نظره إلى التنافس القديم بين المسلمين واليهود، وإلى السخط من الوضع الاقتصادي، كما يعود إلى حسد المسلمين لليهود على قدراتهم التجارية (التايمز 8/8/ 1934 ص15) مستندين في ذلك لبعض ما دعت اليه بعض الأوساط ومنها جريدة الامة التي لم تتردد في توجيه الدعوة لمقاطعة اليهود تجاريا، وأشارت لذلك بقولها:" بعد هذه التجارب القاسية والامتحانات الكبرى لا يصح لمسلمي الجزائر أن يعتمدوا هؤلاء في التجارة بعدما كانوا يعتمدونهم من قبل ويكتفوا منها بغسالات أيديهم كما كانوا يكتفون سابقا .نحن لا نظن أنه يوجد الآن بالجزائر مغفل أبله يرضى بالإسفاف إلى هذا الحضيض من الحيا إن سمعة المسلم –والحمد لله–حسنة ورؤوس الأموال بالجزائر مكدسة، ولسنا في حاجة إلى اليهود في الاعتماد عليهم في التجارة. (تاونزة، مرجع سابق. ص121)

وفي المقابل أعلنت الاتحادية الاسرائيلية في المغرب الحادثة أنها " قد نظمت مسبقا تنظيما دقيقا " وأكد كاتب أخر الإعداد المسبق للحادثة فقال أن الجزائريين المسلمين كانوا قد احتلوا الطرق ونشروا فيما بينهم ((كلمة السر)) وروجوا أخبار خيالية في المدن المجاورة حتى وصلت المغرب الأقصى وأنهم أعلنوا الجهاد، وأضاف هذا الكاتب أن السيد زناتي مدير جريدة (صوت الاهالي) قد أشرف على اجتماع في (نادي الاتحاد الاسلامي) بقسنطينة قبل الاجتماع العام الذي كان مقررا يوم الاحد 5 أغسطس وقد دعي السيد زناتي عندئذ إلى تحرير الجزائر الكامل، أما السيد ديبارمي فقد حمل الحركة الاصلاحية مسؤولية ما حدث فقد قال أن العلماء وأتباعهم كانوا مسؤولين عن هذه النكبة وأنهم كانوا قد أعدو لها منذ سنتين سابقتين واستدل على ذلك بأن ((النكبة)) كما يسميها قد حدثت في مدينة قسنطينة بالذات مبعث الحركة الاصلاحية.

وهناك كاتب أخر حمل النخبة الوطنية والنواب والأعيان الجزائريين ما حدث في قسنطينة لأنهم منذ مدة طويلة كانوا ينازعون السلطات المحلية حق تمثيل الجزائريين في المجالس النيابية وأنهم يستغلون جهل الفلاحين وإثارتهم ضد الفرنسيين. (سعد الله، مرجع سابق، ص48)

وهو ما يناقض ما ذهبت اليه بعض الآراء والصحف التي نوهت بدور الاعيان والنواب حيث تذكر النجاح في أحد اعدادها "...هذا وأننا لا ننسى في هذا الموقف أن نعرب عن إعجابنا وتقديرنا لنوابنا الذين كانوا كتلة واحدة وليس ضد أحد ولكن للدفاع عن إخوانهم وذويهم بما يقتضيه العدل والشرف فكانوا باتحادهم وتعاونهم عونا للحكومة على إخماد نار الفتنة وللأمة التي انقادت إليهم وارتمت بين أحضانهم"

والملاحظ ان الجانب الفرنسي وان أشار الى ما كان يحدث في المشرق من تدفق اليهود على ارض فلسطين بعد وصول الحزب النازي بزعامة ادولف هتلر الى السلطة في المانيا فقد حاول اتهام الدعاية النازية باستثارة جانب المسلمين من الشعب وشحنه ضد اليهود، متجاهلا التضامن الإسلامي مع سكان فلسطين وما كان يحاك ضدهم حيث تفاقمت الأوضاع وهو ما أدى بعد سنتين الى قيام ثورة عز الدين القسام.

5. خاتمة

لقد كانت انتفاضة سكان قسنطينة نسخة جزائرية لانتفاضة او ما سمي بثورة البراق بعد ان امتدت يد اليهود الدنسة الى وضع ستار على حائط البراق والادعاء انه جزء من هيكل سليمان المزعوم وبالتالي بداية مسلسل الاعتداء على الأماكن المقدسة للمسلمين في فلسطين، فثاروا انتقاما لحرمة دينهم في القدس فكانت ثورة البراق 1929 فقد ثار أيضا سكان مدينة قسنطينة العريقة نصرة للجامع الأخضر مع ما يحمله من دلالات تاريخية ومكانة في نفوس القسنطينيين.

ومثلما كان الامر في فلسطين حيث كان الطرف الثالث المستعمر البريطاني منحازا مع الادعاء بالحياد فقد كان الامر كذلك في الجزائر مع المحتل الفرنسي غير ان الفرق ان الفرنسيون ارادوا توجيه ثورة المسلمين ضد اليهود واستعمالهم، وهو ما تفطنت اليه النخبة

السياسة المسلمة بزعامة ابن باديس وبن جلول ورفضوا ان يستعمل السكان المسلمين لخدمة مصالح المتطرفين الفرنسيين المعادين لليهود والتورط في لعبة سياسية قذرة فنبهوا الى ذلك ودعوا للتعقل.

وهكذا فقد بدأت انتفاضة قسنطينة عفوية كرد فعل على انتهاك حرمة المقدسات وانتهت بتأطير من النخبة السياسية التي احتوت الوضع وحقنت دماء سكان المدينة مسلمين كانوا ام يهود لتفوت الفرصة على الفرنسيين والسلطات الفرنسية ضرب مكونات سكان المدينة ببعضهم واضعافهم.

ورغم ان البعض أراد الإيحاء الى ان الانتفاضة كانت تحت تأثير خارجي وهو الدعاية النازية، الا ان الوضع مغاير فما توقيت اندلاعها الا بسبب تعاظم نفوذ اليهود في تلك الفترة، والذين وجدوا السند والحماية من القوى العالمية سواء فرنسا في المغرب أو بريطانيا في المشرق.

وقد استغلوا ما لحق بإخوانهم في ألمانيا من مقاطعة واضطهاد فراحوا يضخمون الامر بوسائل الدعاية الممولة من رجال المال اليهود من اجل در استعطاف القوى العالمية الاستعمارية المهيمنة لتلقي الدعم لمخططهم الاستيطاني في المشرق وتعزيز مكانتهم في المغرب، وقد وجد ذلك اتفاق من فرنسا وبريطانيا في استعمالهم باعتبارهم جماعة وظيفية في تحقيق اهداف سياسية من خلال ضرب المسلمين باليهود.